دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تحديد ملامح أصالة التراث المعماري مدخل ضروري لصيانته : تطبيقاً على مدينة صنعاء القديمة ـ الجمهورية اليمنية
المصدر:	مجلة كلية الآداب
الناشر:	جامعة صنعاء - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	البنا، السيد محمود
المجلد/العدد:	ع 28
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2005
الصفحات:	111 - 134
رقم MD:	459983
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	صنعاء ، التراث الحضاري ، العمارة ، الآثار التاريخية ، الصيانة ، الأصالة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/459983

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تحديد ملامح اصالة التراث المعماري مدخل ضروري لصيانته

تطبيقاً على مدينة صنعاء القديمة – الجمهورية اليمنية

د. السيد محمود البنا

كلية الآثار- جامعة القاهرة

مقدمة..

إذا كانت إجراءات الترميم والصيانة للمدينة التاريخية دائماً ما يحكمها أسس وقواعد ومواثيق دولية تم الاتفاق عليها، فأن تناول مدينة بعينها بالصيانة يكون غالبية ما ينفذ من إجراءات نابعا من طبيعة المدينة: طبيعة المشاكل التي تواجهها- الظروف البيئية والمناخية السائدة- ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية تفرض وجودها ... إضافة لطبيعة المدينة من حيث خصائصها المعمارية والفنية، تلك الخصائص التي في مجموعها تعتبر مميزة لتلك المدينة، وتجعلها منفردة عن غيرها من المدن الأخرى التاريخية.

ولما كانت إجراءات الترميم والصيانة الهدف منها كشف القيم الفنية الجمالية والمعمارية والحضارية والتاريخية للأثر فإنها تقوم أيضاً على احترام المادة الأصلية للأثر، ذلك الاحترام الذي ينسحب أيضاً على المدينة التاريخية ولكل مفرداتها التي تكونها، تلك المفردات التي تمثل ملامح أصالة ذلك التراث، وتدل على جذوره وتطوره، وان تحديد هذه الملامح وتعيينها يعتبر الخطوة الأولى والهامة عند إعداد برنامج لصيانة المدينة، لأن البعد عن هذه الملامح وأن تم بطريقة غير محسوسة في البداية- سوف يفقد المدينة أهم ما يميزها، وهو باختصار، وبالنسبة لمدينة صنعاء القديمة: أن العين قد تخطيء في إدراك أن هذه المدينة هي مدينة صنعاء القديمة.

إن ملامح الأصالة لتراث ما، ما هي إلا مفردات معمارية وفنية ومكانية وتقنية واجتماعية، وعند تجمعها معا بتوافق وتآلف يكون الناتج هو ما يميز مدينة عن الأخرى، وطالما كان التميز بمفرداته هو الهدف الرئيسي من عمليات الحفاظ إبقاء على الهوية، فأن هذه الملامح ينبغي **تحديدها وتعيينها، ووضعها في الاعتبار، وعلى قمة خطة الصيانة المقترح تنفيذها للمدينة التاريخية.**

ولتناول هذا الموضوع بالدراسة والبحث، فأنه يقترح تناوله ارتباطا بالعناصر التالية:

١. المدينة التاريخية "مفهومها"
٢. التاريخ والمنهج في صيانة المدن التاريخية
٣. مفهوم ملامح الأصالة
٤. استجلاء مفردات ملامح الأصالة في التراث المعماري بمدينة صنعاء القديمة
٥. تفصيل تحديد ملامح الأصالة في صيانة التراث المعماري بمدينة صنعاء القديمة

أولاً – المدينة التاريخية " مفهومها "..

يمثل المبنى الأثري النواة الرئيسية– مع تعددها وتكرارها وتجاورها– المكونة للمنطقة الأثرية. وهو ذلك المبنى الذي يعطينا الإحساس بالإعجاب، ويجعلنا في حاجة إلى معرفة المزيد عمن بنوة، وثقافتهم، ويحمل– كوثيقة– قيما معمارية وتاريخية وأثرية، وحتى سياسية وروحية، أو قيما رمزية. غير أن تأثيره الأول دائما ما يكون نابعا من كونه رمزا لثقافتنا، واستمرارها، وجزء من تراثنا. أنه رسالة من الماضي يجب الكشف عنها بدراسته.

أما المنطقة الأثرية فهي أي مجموعة من المباني توصف على أنها تاريخية، ويميزها التوافق والانسجام والتالف التاريخي والأثري والجمالي، وإثارة الصور الذهنية، ويكون لها ما يبرر صيانتها، وعرضها بطريقة تظهر مزاياها، على أن تكون هذه المجموعة محددة مكانيا، ومتسمة بخصائص معمارية[١].كما تعني أيضا أي تجمع لمبان ومنشآت، وأماكن مفتوحة تحتوي على مواقع أثرية، أو أشكال لحياة جيولوجية Archaeological and palaeontological sites بها حياة بشرية مستقرة في محيط مدني أو ريفي Urban or rural environment، يكون الترابط فيما بينها، وقيمتها من خلال ما يمكن إدراكه من ملامح أثرية ومعمارية وجمالية وتاريخية[٢]. وإذا ما كانت هذه المنطقة الأثرية تمثل مدينة تاريخية، كما هو الحال في المدن التاريخية الإسلامية، فهي تلك المدينة التي بنيت بتخطيط وملامح متوارثة وظلت هذه الموروثات باقية حتى الآن[٣]. أو هي أنماط وطرز، وأن اختلفت في بعض معايير التشكيل المعماري الإسلامي وأسسه باختلاف الزمان والمكان، غلا أن الناتج هو حصيلة إبداعية زاخرة من العمارة

---

1 - Sorlin, F., Europe: the comperhensive effort, "the conservation of cities". The UNESCO, Paris, 1975, p.67

2 - Recommendation concerning the safeguarding and contemporary role of historic areas, adopted by the General Conference at its nineteenth session, Nairobi, 26 Nov. 1976.

3 - Antonion, J., Islamic cities and conservation, the UNESCO Press, Paris, 1981, p.86

الإسلامية المعبرة عن الزمان والمكان[٤]. وهي أيضا المدينة التي تضم من المعائر والمنشآت الأثرية ما ينسجم مع المجتمع الإسلامي في مختلف البيئات والأزمان، ولا تتنافر مع المبادئ والقواعد الإسلامية، وتطبق فيها الأسس الفنية والهندسية الواجب توافرها في العمارة الجيدة[٥].وبصفة عامة، فأن المدينة التاريخية هي كل المعاني السابقة، وهي الحيز الكبير لنسيج حضاري متوارث متتابع الحلقات دون تعارض أو عدم تألف، يمكن من خلال هذا الحيز فهم وإدراك صورا لجميع نواحي الحياة.

ثانياً – التاريخ والمنهج في صيانة المدن التاريخية..

كانت إعمال الصيانة للمنشآت الأثرية والتاريخية، خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين محدودة وموجهة أساسا للبقايا المتميزة، ومهملة لتلك الأقل تميزا، كما أن القوانين والتشريعات الخاصة بذلك كانت محدودة أيضا، ولا تهتم إلا بالمبنى الأثري دون النظر والاهتمام لما يحيط به، أو الموقع المتواجد فيه، وبالتالي كانت أعمال الترميم موجهة لما هو متواجد من المبنى الأثري، دون الاعتماد على دراسات أثرية وتاريخية موجهة لهذه الأعمال. ونتيجة لذلك فقد حكم على كثير من المباني الثرية بتدني قيمتها، وبالتالي هدمها، وكذلك المناطق المتصلة بتلك المباني، وتجمعاتها. [٦]

وباستعراض ما تضمنته المواثيق وتوصيات المؤتمرات الدولية في هذا الشأن، وتأكيدا للمعاني السابقة، لم يوص المؤتمر الدولي للمعماريين- مدريد سنة ١٩٠٤م [٧]- بأي توصية تختص ببيئة المبنى الأثري، ومحيطة، وإنما كان الاهتمام موجها إلى تقسيم الآثار والتعريف بها، أو إقامة هيئة لصيانة الآثار التاريخية الفنية في كل دولة، على أن تتعاون هذه الهيئات فيما بينها في هذا الشأن. وبالمثل، ميثاق أثنا ١٩٣١م [٨]، والذي كانت أهم بنوده، التوصية بضرورة وضع القوانين والتشريعات التي تختص بالآثار التاريخية، وذلك في كل دولة، مع الإشارة- لأول مرة- إلى احترام شخصية وطابع المدينة عند إقامة مبان جديدة بها، خاصة عند تجاور هذه المباني مع مبان أثرية قديمة، حيث يجب وضع المحيط في الاعتبار، ومنع أي شكل من أشكال التلوث

---

[4] – عبد الباقي إبراهيم "دكتور": مقدرات التشكيل المعماري الإسلامي – مجلة المنهل، العدد ٥١٩، ١٩٩٤م

[5] – رائف نجم: النمط الإسلامي في المدينة الإسلامية، مجلة المنهل، العدد ٥١٩، ١٩٩٤م.

[6] - Sorlin, F., Op.cit. p.66

[7] - Erder, C., Our architectural heritage: from consciousness to conservation, "International Congress of architects, Madridm 1904", UNESCO, 1986, p.209

[8] - The Athens Conference (21-30 Oct. 1931)

البصري، خاصة فيما يتعلق بأعمدة التلفونات، والمصانع المزعجة، والأعمدة الطويلة المجاورة للمبنى الأثري.

وفي خطوة متقدمة نوعا ما في صيانة المناطق الأثرية، كان ميثاق إيطاليا سنة ١٩٣١م[٩]، إذ جعل احترام الأثر، وملامحه المختلفة، يجب أن يصحبه احتراما لمحيطة، والذي ينبغي عدم تغييره، سواء بعزل الأثر، أو بإقامة أحياء جديدة ملاصقة ذات طرز وألوان مغايرة. أما ميثاق أثينا سنة ١٩٣٣م [١٠]، فقد أقر بضرورة الحماية للموجودات المعمارية الأصلية حيثما تواجدت، سواء لمبان منفردة Isolated buildings أو في تجمعات مدنية Urban aggregations ، ومناقشا لقضية هامة، وهي إحداث مبان جديدة في المناطق التاريخية بنفس الأسلوب القديم تماما، معتبرا ذلك تضليلا وتزييفا، ويعطي إحساسا زائفا بوحدة الطراز، إذ أن لكل عصر ملامحه، وبالتالي يجب الدمج الجيد بين القديم والحديث.

ثم كان ميثاق فينيسيا ١٩٦٤م[١١]، والذي تضمنت مواده الأطر العامة، والواسعة، والمحددة، لصيانة المبنى الأثري، والمواقع التاريخية، إذ اقر:

- أن مفهوم المباني التاريخية لا يشمل فقط عملا معماريا منفردا، ولكن أيضا موقعه المدني أو الريفي الذي يتواجد فيه، ويحمل دلائل حضارته المميزة، وتاريخه. وبالتالي فلا تفريق بين الأعمال المعمارية الضخمة، والأخرى الأكثر تواضعا. (مادة رقم ١).
- إن صيانة المباني الأثرية دائما ما يسهلها إعادة استخدامها في أغراض اجتماعية مفيدة، ومثل هذا الاستخدام لا ينبغي أن يترتب عليه تغييرا في مخطط المبنى أو زخارفه. (مادة رقم ٥).
- عن صيانة الأثر تتضمن صيانة محيطة أو موقعة، وحيثما تواحد الموقع التقليدي، فيجب الحفاظ عليه: فلا مبان جديدة، ولا تدمير أو تعديلات يمكن أن تغير من علاقات هذا الموقع. (مادة رقم ٦).
- عن المبنى الأثري لا ينفصل عن تاريخه الذي يحمله، ولا عن موقعة الذي يتواجد فيه (مادة رقم ٧).

9- Erder, C., Op.cit. pp. 215-217.

10- Ibid., pp. 219-220.

11- International charter for conservation and restoration of monuments and sites, ICOMOS, 1966-1. Article 9 and 3.

- إن المواقع الأثرية ينبغي أن تكون موضوعا ذا عناية خاصة، لكي يصان تكاملها، وتأكيد نقاوتها، وظهورها بشكل لائق ملائم، وأن أي أعمال ترميم وصيانة يجب أن تقوم على القواعد المذكورة (بهذا الميثاق). (مادة رقم ١٤).

وتنمية لميثاق فينيسيا سنة ١٩٦٤م، أصدرت الايكوموس ICOMOS سنة ١٩٧٨م وثيقتها الثامنة، والتي تكمل هذا الميثاق، وهي وثيقة "صيانة المناطق التاريخية والمساحات العمرانية" والتي كانت أكثر كمالا، وإحاطة بكل ما يتعلق بالمنطقة الأثرية، أو المواقع أو المدن التاريخية، وملبية تقريبا متطلبات تفاصيل التطوير أو الالتقاء لهذه المناطق، إذ تضمنت هذه الوثيقة المحاور التالية[١٢]:

١. إن هذه الوثيقة تتعلق بالمدن التاريخية الكبيرة، والصغيرة، سواء كانت مدنا أو ريفا، أو مراكز تاريخية، أو أحياء. وأن الهدف من هذه الوثيقة- إضافة إلى ما تمخض عنه مؤتمر نيروبي سنة ١٩٧٦م- هو إرساء القواعد الخاصة بحماية وصيانة وترميم المناطق التاريخية، وتطويرها، وانسجامها مع الحياة المعاصرة.

٢. إن الصفات والخواص التي يجب الحفاظ عليها، حفاظا على المدينة التاريخية وعناصرها المادية والروحية وهي:

- النماذج العمرانية، والكتل، والشوارع، والفراغات (النسيج العمراني).
- العلاقات بين الأبنية والمساحات الخضراء، والفراغات المفتوحة.
- المظهر الخارجي والداخلي للأبنية، الذي يظهر من خلال الحجم والطراز واللون ومواد البناء.
- الوظائف المتعددة التي مارستها هذه المناطق على مر العصور، وأي تهديد لهذه الوظائف يؤثر على أصالة المنطقة التاريخية.

٣. وفيما يتعلق بمنهج الصيانة، ووسائله:

- يجب أن يسبق التخطيط من أجل الصيانة للمناطق التاريخية، دراسات شاملة متعددة لكل الاختصاصات أثريا، وتاريخيا، ومعماريا، واقتصاديان مع الأخذ في الاعتبار الأمور القانونية والتنفيذية، والاعتبارات المالية الضرورية لتنفيذ خطة الصيانة، مع ضمان تحقيق الانسجام بين المناطق التاريخية، والمدينة بشكل عام، والتحديد المفصل

---

[12] - هزاز عمران "مهندسة" جورج دبورة "مهندس" - المباني الاثرية - ترميمها، وصيانتها، والحفاظ عليها - منشورات وزارة الثقافة - الجمهورية العربية السورية - دمشق، ١٩٩٧، ص ١٤٩-١٥٢.

للأبنية التي يجب الحفاظ عليها، والأخرى التي يمكن أن تزال. وفي كل الأحوال يجب التوثيق بشكل كامل لكل خطوات العمل.

- يعتبر الإبقاء على الأبنية التاريخية الشيء الحاسم والمهم في فاعلية عملية الصيانة التي تتم في المنطقة التاريخية.
- يجب أن تنسجم المهن الجديدة، والفعاليات الوظيفية، مع صفات المناطق التاريخية.
- ولتوافق وتكيف المناطق التاريخية، مع الحياة المعاصرة، يجب تحسين الخدمات العامة بشكل دقيق.
- عند إقامة أبنية جديدة، أو إعادة تأهيل أبنية موجودة في نطاق المنطقة التاريخية، يجب احترام المخطط الفراغي والحجم، مع عدم رفض العناصر المعاصرة توافقها وانسجامها مع المحيط.
- مراقبة حركة النقل، ودخول السيارات داخل المنطقة الأثرية وتحديد مساحات مخصصة لمواقف السيارات، دون تدمير، أو تشويه للطابع التاريخي للمنطقة وفراغاتها، وبيئتها.
- عند تخطيط المدينة أو الإقليم، لا يجوز أن تخترق طرق سريعة المناطق التاريخية، ولكن يجب تحسين الوصول إليها.
- يجب حماية المناطق التاريخية ضد الكوارث الطبيعية، والبشرية، والاهتزازات، وأن تكون هذه المناطق آمنة لتأمين سلامة المقيمين فيها.
- تشجيع مشاركة ساكني المدينة في خطة الصيانة، وتنظيم برامج لرفع الوعي الأثري، وتشجيع الجمعيات التي قد تنشأ لحماية المباني الأثرية.
- إحداث مراكز للتدريب المتخصص لكل المهن المتعلقة بالصيانة.

وإذا كان ذكر هذه الوثيقة المكملة لميثاق فينيسيا قد فرضه سياق الحديث عن هذا الميثاق، إلا أن ما تلى هذا الميثاق تاريخيا، يعتبر من الأهمية بمكان ذكره، خاصة ميثاق إيطاليا للترميم سنة ١٩٧٢م، وتصريح أمستردام سنة ١٩٧٥م، ثم مؤتمر نيروبي سنة ١٩٧٦م.

ففيما يتعلق بميثاق إيطاليا سنة ١٩٧٢م، وفيما يختص بصيانة المناطق الأثرية، فقد أشار هذا الميثاق إلى أن جميع الأعمال والتدخلات بالترميم والصيانة لهذه المناطق، يجب إلا تؤثر على المواد واللون للسطح الخارجي، أو تغير من شكل البيئة المحيطة بالأثر.

أما تصريح أمستردام سنة ١٩٧٢م، وفي نفس الإطار، فقد أشار إلى ضرورة التعاون فيما بين السلطات المحلية، والتي يقع عليها الدور الأكبر في اتخاذ القرارات الهامة بشأن عمليات الإصلاح ومسئولة مسئولية خاصة بحماية التراث المعماري.

كما أشار أيضا إلى ضرورة تحسين الأحياء القديمة، وأهمية تحقيق ذلك بقدر الإمكان، دون إدخال أي تعديلات جوهرية على المكونات الاجتماعية للمقيمين بها. ولضمان التطبيق والتنفيذ، وسهولة اتخاذ الإجراءات فقد أقر مؤتمر أمستردام- الذي عقد في ختام العام الأوربي للتراث المعماري سنة ١٩٧٥م- بضرورة وضع معونة مالية مناسبة تحت تصرف الهيئات المحلية والملاك، لمواجهة تكاليف ترميم وإصلاح وصيانة المباني والمواقع التي لها قيمة معمارية أو تاريخية، وأكثر من هذا، فأنه يجب اتخاذ قرارات بشأن الإعفاء الضريبي لهؤلاء الملاك.

وتعتبر التوصيات أو القواعد والأسس، التي أفرزها مؤتمر نيروبي سنة ١٩٧٦م[١٣]، في شأن حماية المناطق التاريخية، من أهم ما تقرر واتفق عليه في هذا المجال، إذ أحاط المؤتمر بكل التفاصيل المتعلقة بصيانة المدن والمواقع التاريخية، بدء من بعض التعريفات الخاصة بالمناطق التاريخية، ثم تمهيد واعتبارات، وقواعد عامة، ثم سياسات إقليمية ومحلية.

ولأهمية وقيمة ما تحتويه توصيات هذا المؤتمر، وارتباط ذلك بموضوعنا بشكل مباشر، فأن ذلك قد يبرر ذكر بعض التفاصيل لما أقره ذلك المؤتمر، مع الأخذ في الاعتبار أن ما سبق ذكره في الوثيقة الثامنة للايكوموس- سابقة الذكر- يعتبر تتمة لما أقره ذلك المؤتمر، وسدا لبعض أوجه القصور- على قلتها- التي لم تتناولها توصيات مؤتمر نيروبي.

أقر المؤتمر في بداية توصياته الاعتبارات المختلفة التي تبرر صيانة المناطق معتبرها جزء من البيئة اليومية للإنسان، وتعكس التواجد المعيشي الماضي الذي كونها، كما أنها، أي المناطق التاريخية Historic areas، هي التي تعطي الإحساس بالقدم، والدليل الملموس على غزارة التنوع الثقافي والديني، والأنشطة الاجتماعية، وأنه وفي مواجهة القولبة (صور لا تحمل الأصالة) Stereotyping وفقدان الشخصية Depersonalization، فأن دلائل الحياة لأيام مضت، لها من الأهمية الحيوية للبشرية، وللشعوب التي تواجدت لديها، سواء لما تعطيه هذه الدلائل من معين لطرق حياتهم، أو اعتبارها أحد أحجار الزاوية لهويتهم.[١٤]

---

[13] - Gurrieri, F., Dal restauro dei monumenti al resturo del territorio, Sansoni, 1983, pp. 129-159

[14] - Recommendation concerning the safeguarding and contemporary role of historic areas, adopted by General Conference of its nineteenth session, Nairobi, 26 November,

ومع ملاحظة أنه وعلى مستوى العالم، وبحجة الاتساع والتحضر، يكون التدمير والإهمال لما يعتقد أنه غير منطقي وغير ملائم من مباني، وما يتبع ذلك من دمار حاد لذلك التراث التاريخي، ومع ملاحظة أيضا أن المناطق التاريخية تراث لا يمكن نقلة، إن تدميره ربما يؤدي في الغالب إلى اضطراب اجتماعي، حتى ولو لم يؤد إلى خسارة اقتصادية..... فأن الموقف (الوضع) يلقي بالمسئولية على عاتق كل مواطن، بل الهيئات المعنية أولا، والتي لها القدرة وحدها على إنجاز هذه المسئولية، أي حماية التراث.

وبعد التعرف بالمناطق التاريخية والمعمارية، وبيئتها أو محيطها The environment، والتي تعني المكان الذي صنعته الطبيعة، أو يد الإنسان Natural or man- made setting، وتؤثر في حركته وسكونه، ويربطه بها روابط مباشرة، مكانية واجتماعية واقتصادية وثقافية..... كانت القواعد العامة المنظمة لحماية المناطق التاريخية ومحيطها، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١. إن المناطق التاريخية، وما يحيط بها، يجب النظر إليها كتراث عالمي لا يمكن تعويضه، ومن ثم صيانتها، وأن الهيئات الدولية والإقليمية والمحلية مسئولة عن تأدية واجبها في هذا الخصوص، طبقا لطبيعة وظروف كل دولة.

٢. إن كل منطقة تاريخية، وكذلك ما يحيط بها، يجب اعتبارها كمجموعة، وكل مترابط، حيث يعتمد توازنها، وطبيعتها المتميزة، على انصهار أجزائها التي تحتويها، وعلى ما تضمه من أنشطة بشرية، ومبان، وما يحيط بها. وكل العناصر الفعالة، والأنشطة البشرية، مهما كان تواضعها، لها معناها ودلالاتها وأهميتها لعلاقتها بالكل، ومن ثم يجب عدم إهمالها.

٣. إن المناطق التاريخية وما يحيط بها، يجب حمايتها بفعالية ضد التلف بكل أنواعهن خاصة ما يسببه الاستخدام غير مناسب، وأي إضافات غير ضرورية، وأي تغييرات أو تعديلات مضللة، أو غير محسوسة، لأن مثل هذا سوف يفسد أصالتها. كما ينبغي حماية هذه المناطق من التلف الناشئ عن التراث. وأي أعمال ترميم يتم إجراؤها، يجب أن تقوم على القواعد العلمية.

٤. وفي حالة الامتداد العمراني الحديث Modern urbanization extensions، والذي يؤدي إلى زيادة واضحة في المساحة، وكثافة المباني، وبعيدا عن خطة التدمير المباشر

1976. Conventions and recommendation of UNESCO concerning the protection of the cultural heritage, Switzerland, 1985, pp. 195-208

للمناطق التاريخية، فان هناك خطرا حقيقيا متمثلا في نمو مناطق جديدة، بأنماط مغـايرة، يمكن أن تضر ببيئة وشخصية المنطقة المجاورة. وعلى المهندسـين ومخططـي المـدن العناية بتأكيد أن الرؤى من الآثار والمناطِق التاريخية، وما يحيط بها، لم تشوه، وأن هذه المناطق التاريخية تندمج بتالف وتوافق مع الحياة العصرية.

وإذا كانت هذه القواعد العامة تمثل الإطار العام لصيانة مثل هذه المناطق، وأنها تنطبق على كل موقع أثري وتاريخي أيا كان موقعة في العالم، فأن هذه القواعد يمكن اعتبارها منهجـا هاما وفعالا في صيانة المواقع الأثرية، يعززها ويسهل من تنفيذها وتطبيقها، ما تلا ذلـك مـن تفاصيل، يمكن اعتبارها تفسير لما سبق، وكذلك خطوات تنفيذية، لكل ما يتعلق بالمدينة التاريخية من تفاصيل دقيقة، ومن ذلك:

١. إن على كل دولة أو إقليم أن يعد سياسته للصيانة حـسب ظروفـه، سـواء التقنيـة أو الاقتصادية أو الاجتماعية.
٢. إن تطبيق السياسة العامة لحماية المناطق التاريخية، وما يحيط بها، يجب أن تقوم علـى قواعد لها الصفة القانونية لكل دولة. بحيث تسن القوانين، أو يطور ما هـو متواجـد، لتأكيد صيانة المناطق التاريخية وما يحيط بها، مع الأخذ في الاعتبار القواعد الـسابقة واللاحقة. كما يجب أن تسن القوانين التي تختص بالمدن وتخطيطها وإقامـة منازلهـا، وضرورة توافقها مع القوانين الخاصة بحماية التراث المعماري.
٣. يجب توجيه العناية للقواعد التي تنظم بناء مبان جديدة، لتأكيـد أن عمارتهـا تتوافـق وتنسجم مع الحيز المكاني لمجموعة المباني التاريخية، ولتحقيق هذا الهدف، ينبغي لمـا يستحدث من مبان داخل إطار المدينة التاريخية، أن يأخذ بعين الاعتبار التوافق من حيث الارتفاعات، والألوان، ومواد البناء، والتكوين، خاصة طريقة بناء الواجهات.
٤. حماية المناطق التاريخية وما يحيط بها من التشويه الناتج عن إقامة الأعمـدة، وأبـراج الكهرباء، وأسلاك التليفونات، وهوائيات التلفزيون، ولوحات الإعلانات الضخمة.
٥. إبعاد أي صناعات حديثة ينتج عنها تلوث، أو اهتزازات، أو ضوضاء.
٦. ضرورة حل مشكلة السيارات ومرورها بالمناطق التاريخية، وذلك مـن خـلال عمـل أماكن انتظار قريبة من المنطقة الأثرية، وتخطيط طرق المرور.
٧. إن بعض أعمال التأهيل، كالكهرباء، إذا ما نفذت منفردة، فإنها تكون عاليـة التكلفـة، عكس تنفيذها متزامنة مع عمليات تحسين الطرق.

٨. إن أعمال الصيانة والترميم للمباني الأثرية، يجب أن يقترن بها إحياء للأنشطة، خاصة التجارية والحرفية، وأن تلبي وظيفة المبنى الاحتياجات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لساكني المدينة، دون الأضرار بطبيعة المنطقة.

٩. يجب أن تساهم الهيئات الخاصة في أنشطة الصيانة، وكذلك الأشخاص، سواء في شكل تجمع من ساكني المدينة، أو مستخدميها. وكذلك المتطوعين.

١٠. وعن الدعم المالي لتنفيذ برامج الصيانة، فأن المصادر متعددة: مثل الهيئات المحلية والإقليمية والدولية.....

١١. ضرورة رفع كفاءة ومهارة العمال الفنيين العاملين في مجال الترميم والصيانة، وكذلك رفع مستوى الوعي الأثري لدى ساكني المنطقة الأثرية، وضرورة مشاركتهم في أعمال الصيانة.

وبالنظر إلى الوثيقة الثامنة المكملة لميثاق فينيسيا، والي صدرت عام ١٩٨٧م، نجدها مكملة لمقررات مؤتمر نيروبي الذي عقد سنة ١٩٧٦م، وخاصة فيما يتعلق بمنهج لإعداد لخطة الصيانة، والدراسات الأثرية والتاريخية والمعمارية والاقتصادية التي تتضمنها، إضافة إلى تحسين الخدمات العامة بشكل دقيق.

وهكذا، فأن هذه الوثيقة بمقرراتها، ومؤتمر نيروبي بتوصياته، يمكن أن يشكلا الأساس العلمي، والمنهج المتكامل، الذي يمكن تطبيقه عند صيانة المناطق الأثرية، والتطوير والارتقاء بها.

ثالثاً – مفهوم ملامح الأصالة..

وقراءة لما سبق ذكره، واستيضاحا لعناصره، نجد أن أهمية الصيانة لهذه المواقع، وضرورة الحفاظ عليها، قاسما مشتركا لمعظم المواثيق والتوصيات التي اهتمت بهذا المجال، مع التركيز دائما على الحفاظ على أصالة الأثر، أو أصالة المكان ومحيطة، دون التفسير لمعنى الأصالة ومفهومها، ومن ثم يصبح من الضروري استجلاء مفهوم هذه الكلمة، وتضمينه لما سبق ذكره من قواعد وأسس، كي تصبح الصورة متكاملة لعناصر منهج الصيانة والتطوير للمناطق الأثرية، ومحيطها المعماري، وكذلك لكون الأصالة تلعب دورا رئيسيا في كل الدراسات العلمية للتراث الثقافي.

ولتوضيح، واستجلاء مفهوم الأصلة Authenticity للمباني والمواقع والمدن التاريخية، فقد عقد من أجل ذلك مؤتمرا علميا عالميا بمدينة نارا Nara باليابان، في نوفمبر سنة

١٩٩٤م[١٥]، سبقه مؤتمرا إعداديا في مدينة برجن Bergen بالنرويج في فبراير من العام نفسه[١٦]. وذلك من أجل وضع صيغة أو مفهوم للأصالة، تلك الصفة التي تعتبر نتاجا وعلاقة مميزة لحضارة ما، إذ أن تحديد القيمة، وفهم المدلول، وتعيين وتحليل الملامح المميزة لمكان ما ومنشآته، يجعل من السهل إحداث أعمال الاستخدام والتوظيف، وإجراء أي تعديلات بذلك المكان، في إطار يتفق وينسجم مع هذه القيم والمدلولات والملامح، أي في إطار ملامح الأصالة.

وقد ذكر Herb Stovel [١٧] أن مفهوم الأصالة للتراث العالمي، هو ملمح أساسي وجوهري لمظاهر مختلفة لقيم التراث الثقافي:

Authenticity an essential aspect of the various manifestations of the cultural heritage.

وأن الأصالة ليست في حد ذاتها قيمة، كما أن الأصالة تكمن في درجة أهمية العلاقات ما بين الموقع ومحيطة، والموقع وطبيعة استخدامه التي ميزته كل الوقت، وبين الموقع وروح المكان المتسع محيطة. وبمعنى آخر، كما يذكر Jukka Jokilehto [١٨]، أن أصالة التراث الثقافي تكمن في أربعة ملامح يجب وضعها في الاعتبار، وهي:

- أصالة التصميم: [Authenticity in design]
- أصالة المادة: [Authenticity in material]
- أصالة الصنعة: [Authenticity in workmanship]
- أصالة المكان: [Authenticity of setting]

وأن الصيانة ليست موجهة لحفظ المادة فقط، وإنما إدراكا للروح والجوهر غير المادي، وأصالة التراث وعلاقته بالمجتمع.

---

15 - Nara Conference on authenticity in relation to the world heritage convention, 1-6 Nov. 1994, Published by UNESCO World Heritage Centre, 1995

16 - Conference on authenticity in relation to the world heritage conventions, preparatory workshop, Bergen, Norway, 31 Jan. - 2 Feb. 1994, Tapir forlag, Norway, 1994

17 - Stovel, H., Notes on Aspects of authenticity reflection from the Bergen meeting. Conference on authenticity in relation to the world heritage conventions> Preparatory workshop. Bergen, Norway, 31 Jan. - 2 Feb. 1994, Tapir Forlag, Norway, 1994, pp. 121-125

18 - Jokilehto, J., Questions about authenticity, "Conference on authenticity in relation to the world heritage convensions", Preparatory workshop, Bergen Norway, 3 1 Jan. -2 Feb., 1994, Tapir Forlag, Norway, 1994, p.21

وتوضيحا لهذه الملامح الأربعة[١٩]، أن أصالة الشكل أو التصميم، تكمن في عمارة وفنية وهندسة ووظيفة الأثر، أو الموقع الأثري، أو المدينة التاريخية.

وأن القيمة التذكارية للأثر، ترجع أيضا لأصالة تصميمه، وبالتالي فالهدف هو صيانة المادة الأصلية، والبناء كله الذي يمثل هذا التصميم.

أما أصالة الصنعة (ومعها أصالة المادة) فتعني أصالة المادة المستخدمة فيما تحمله من دليل على صنعة التكوين. ولهذه رسمت طرق الصناعة على جدران الآثار دليل على هذا التكنيك، وبالتالي الأثر هدفها إطالة عمرة، بمادته وعناصره، والتي تحمل دليل الصنعة.

أما ما يتعلق بأصالة المكان، فهي التي تنعكس من العلاقة ما بين الموروث الموجود ومحيطة الطبيعي، وهذا يشمل قيم المنظر الطبيعي، وقيم شكل المدينة، وكذلك علاقة ما شيده الإنسان من منشآت بمحيطها المدني. وصيانة المبنى الثري في موقعة (مكانة الأصلي) هو مطلب أساسي لصيانة هذه القيم، كما أن الآثار المهدمة لها أيضا قيم ثقافية محددة، وأصبحت جزء من هذا المكان، وأن صيانتها والحفاظ عليها، يحقق التوازن العام للمكان.

ويتضح مما سبق: أن مفهوم الأصالة يأخذ صفة العموم، أي يحدد قيما معينة لتراث معين، ومن ثم فأن المفاهيم السابقة تنطبق على كل التراث العالمي كمفاهيم عامة، وذلك للاختلاف والتباين بين كل تراث وآخر، في قيمة وملامحه وأصوله، وجذوره التي تغذيه. وهذا ما ركزت عليه وثيقة "نارا" عن الأصالة[٢٠] " Nara Document on Authenticity

١. إذا أن كل وسائل الحكم والتقدير للقيم المتعلقة بالتراث، وكذلك معقوليتها، تختلف من ثقافة إلى أخرى، وحتى في الثقافة الواحدة، وبالتالي فمن غير الممكن وضع قاعدة للقيمة والأصالة في معيار محدد.
٢. ومن المهم جدا، بل ومن الضروري، وفي إطار كل ثقافة، أن يكون لها تفردها، والمتطابق مع الطبيعة المحددة لقيم هذا التراث، ومعقوليته وصدقة مع جذوره.
٣. واعتمادا على طبيعة التراث الثقافي، ومحيطة، وتطوره مع الوقت، فان الحكم على أصالته ربما يرتبط بغناه وتنوعه الكبير لمصادر معلوماته، تلك المصادر التي يمكن أن

---

19 - Feilden, B.M., and Jokilehto., Management guidelines for world cultural heritage sites, "Conference on authenticity in relation to the world heritage convensions", Preparatory workshop, Bergen Norway, 31 Jan. - 2 Feb., 1994, Tapir Forlag, Norway, 1994, pp. 26-32

20 - Nara document on authenticity, Nara Conference on authenticity in relation to the world heritage conventions, 1-6 Nov. 1994, pp. XXI - XXIII

تكون في شكل ملامح عبارة عن: الشكل، والتصميم، والمواد، والجوهر، والوظيفة، والتقنية، والموقع، والروح، وعوامل أخرى داخلية وخارجية. وأن استخدام هذه الملامح تسمح بالحكم الدقيق على الأبعاد الفني والتاريخية والاجتماعية والعلمية للتراث الثقافي محل البحث.

رابعاً – استجلاء مفردات ملامح الأصالة في التراث المعماري بمدينة صنعاء القديمة..

وارتباطا بالمعاني السابقة في كون مفهوم الأصالة يأخذ صفة العموم، وأن المفاهيم سابقة الذكر تنطبق على كل التراث العالمي كمفاهيم عامة، فأن استجلاء مفردات وملامح الأصالة في التراث المعماري بمدينة صنعاء القديمة يمكن النظر إليها كحالة محددة لها طبيعتها الخاصة، وتفردها، ومن ثم إمكانية تناولها والغوص فيها لتحري الملامح المختلفة المرتبطة بطبيعة هذا التراث من حيث: الشكل والتصميم والمواد والوظيفة والتقنية والموقع والروح... ...الخ.

وفيما يتعلق بتراث معماري معين محدد المكان، له محيطة الذي هو جزء منه، وله خصائصه المعمارية والفنية التي تنفرد بها، فأن ملامح أصالة ذلك التراث يمكن أن نقترح لها تعريفا مؤداه: هي تلك الترجمة العقلية الفورية لتسمية التجمع المعماري عند رؤيته، أي ترجمة لمفردات متجمعة معا تمثل تفردا لتراث معماري يمكن تسمية موضعه أو مكانة، كأن نقول: "مدينة صنعاء القديمة"..... وهذا القول، أو هذه الترجمة العقلية هي الصورة ذات مفردات متجمعة، كانت الرؤية السابقة المتكررة مخزونا احتفظت به الذاكرة تم ترجمته عند رؤيته مرة أخرى.

إذا ما هي تلك المفردات التي تجمعت معا وأعطت هذه الصورة المتكاملة والمتآلفة، والتي نسميها "مدينة صنعاء القديمة"؟.

- هل هي في موقعها بين جبلي نقم وعيبان شرقا وغربا، وجبل النهدين جنوبا؟. أم لوجودها في الجمهورية اليمنية بشكل عام؟. صورة رقم(!).
- هل هي في سورها الذي ما زال موجودا في أجزاء كثيرة منه، ويحيط بذلك التجمع المعماري، ومبنيا من الطين بهيئة معينة، وتكسوه الأحجار في ثلثه السفلي؟.
- هل هي في شوارع المدينة وحاراتها، والتواءاتها، وضيقها واتساعها، والساحات المتسعة التي تفضي إليها؟.

- هل هي في مبانيها الأثرية المتنوعة- مساجد، حمامات، سماسر منحدرات آبار، وغير ذلك- ذات الملامح المعمارية والفنية المرتبطة بالوظيفة، وتاريخ البناء؟ صورة رقم(٢).
- هل هي في مقاشمها (حدائقها) التي تحيط عدد من المنازل تفتح نوافذها عليها وتغذيها مياه الصرف من المساجد والحمامات المجاورة، وتمد سكان ذلك التجمع السكني بالخضروات والفاكهة؟ صورة رقم (٤،٣).
- أم هي في أسواقها التي تتوسطها، بتجمع سماسرها، وحوانيتها ذات الأبواب الضيقة وبضائعها المتنوعة، والتي تجذب إليها المشترين من كل أنحاء اليمن تقريبا، وتمثل مزارا لغالبية من يأتون إلى اليمن؟. صورة (٥).
- أم هي في أصالة الصنعة، إعدادا لمواد البناء، وترتيبا مميزا في استخدامها؟. فلا زال أسلوب البناء اليمني (خاصة في شطره الشمالي) محتفظا بأسلوبه القديم المتوارث، سواء في طريقة إعداد الأنواع المختلفة من أحجار البناء، وكذلك لبنات الآجر، أو في طريقة ترتيبها في البناء، حيث البدء في الأساسات بصخر الصورع (البازلت المصمت)، ثم البازلت الأسفنجي (يسمى محليا بأحجار الحبشي)ن يليه أحجار الطف Tuff بأنواعها المختلفة التي وظفت في إحداث زخارف مختلفة خاصة طريقة تبادل الألوان عند بناء القصور مثلا، ثم البدء في استخدام لبنات الآجر من بداية الطابق الثاني في الغالب، ورصه بأسلوب معين، خاصة عند فواصل الطوابق، محدثا غزارة في الزخارف البارزة التي تكسي بالجير لإبرازها وتوضيحها. صور أرقام (٧،٦).
- أم هي في منازل المدينة، التي إن ذكرت مدينة صنعاء القديمة، فأن ذلك يرتبط مباشرة بمنازلها ذات الطراز المتميز، سواء في عمارتها وأسلوب بنائها، أو ما تحفل به من عناصر زخرفيه تزين واجهاتها؟. إن هذه المنازل بارتفاع بعضها المميز خلف أسوار المدينة، يعطي منظرا لا ينطبق إلا على مدينة صنعاء القديمة، وذلك لما تتميز به من ملامح وخصائص:

١. الأسلوب المتبع في ترتيب استخدام مواد بنائها، كما سبق ذكره.
٢. ندرة الفتحات في الأجزاء السفلية من المنزل، مما يعطي إحساسا بالقاعدة المتينة للمبنى، وتزداد فيه الفتحات وتتسع كلما ارتفعنا لأعلى، حيث المفرج في القمة، والذي تغلب فيه نسبة الفتحات على الحوائط[٢١]. صور أرقام (٧،٦،٤).

[21] - نمير هيكل "دكتور" – جوانب من القيم التشكيلية لفن العمارة الصنعانية – مجلة دراسات يمنية، العدد ٣٥، صنعاء ١٩٨٩، ص ٢٠٦.

٣. معظم المنازل تتراص بجوار بعضها في شكل حلقة كاملة تقريبا، ومشتركة كلها من الخلف في مقشامة (حديقة) تطل عليها النوافذ الخليفة للمنازل، ويكون من الصعب إدراك أو رؤية هذه الحدائق عند المرور بالشوارع. صورة رقم (٤،٣).

٤. التميز والخصوصية في تنفيذ عناصر الواجهة، بحيث يكون من النادر اتصال منزلين متجاورين في واجهة معمارية واحدة، أو متشابه فيما بينهما، رغم التوافق في الطراز الفني العام. صورة رقم (٤،٣).

٥. تمثل المنازل في مجموعها أشكالا هندسية أغلبها عبارة عن متوازي المستطيلات والمكعبات، وهي في تشكيلاتها ونسبها تعطي الإحساس بالاتجاه الرأسي، والحسي بالارتفاع[٢٢]. صورة رقم (٧).

٦. يبدو في بعض المنازل عدم استقامة حوائطها، بحيث يكون عرض الواجهة من أعلى أقل من عرضها من أسفل، وهذا يرجع إلى طريقة البناء السائدة، والتي تقوم على الارتداد للداخل مع كل صف من أحجار البناء بقيمة عدة مليمترات، مما أعطى هذا الشكل الذي يمكن إدراكه في عدد من المنازل.

٧. تمثل الغرفة العلوية في قمة المنزل ظاهرة تكاد تكون عامة، وتسمى "المفرج" وتعتبر من أهم الغرف، ويتساوى في ذلك كل أنماط المنازل، ومن هذه الغرفة يمكن النظر في جميع الاتجاهات تقريبا، وتمتاز بسعة نوافذها، وانخفاض مستواها، حيث يتيح ذلك للجالسين التمتع بالمناظر المحيطة. ويعتبر المفرج غرفة الاستقبال للضيوف، ومجلس القات، وإقامة الحفلات،

٨. تتفاوت المنازل في مدينة صنعاء القديمة في مساحتها وارتفاعها، بحيث يمكن تمييز ثلاثة أنماط أساسية: منازل صغيرة- منازل متوسطة- منازل كبيرة. صور أرقام (٣،٤،٦،٧).

٩. ما تحفل به واجهات المنزل من عناصر زخرفيه مميزة، مثلت في مجموعها ذلك التميز الذي تنفرد به مدينة صنعاء القديمة، وتعتبر في مجموعها أهم ما يجب الحفاظ عليه، واستمرار بقائه، كونه أهم ملامح أصالة ذلك التراث، وأهم تلك العناصر:

١) باب المدخل، وفتحات المداخل غالبا ما تكون قصيرة في ارتفاعها، وذات مساحة لا تتناسب وحجم المنزل، وربما يكون ذلك سببه دواع أمنية. والمدخل دائما ما يكون

---

[22] - نمير هيكل "دكتور" – مرجع سابق، ص ٢٠٨.

معقودا بعقد حجري من صفين، وبألوان متبادلة نتيجة لاستخدام أكثر من نوع من الأحجار والصخور (بازلت إسفنجي- طف بألوان المختلفة).

٢) شرائط الزخارف الآجرية The bands of decorative brickwork ويعتبر هذا الأسلوب الزخرفي من العناصر الأكثر تمييزا للمنزل الصنعاني. وهذه الشرائط أو الأفاريز (تسمى محليا حزام) تكون أفقية، وتفصل ما بين الطوابق، خاصة الطوابق المبنية من الآجر. ومنها أيضا الأشرطة الرأسية، والتي يسير على جانبي النوافذ وما يعلوها من قمريات. وقد نفذ الاسلوبين بواسطة لبنات الآجر البارزة وبأوضاع ينتج عنها هذا النمط من الزخرفة، ثم يلي ذلك تكسية هذه البروزات بطبقة جيرية بيضاء، وذلك إمعانا في وضوح هذه الزخارف كما أنه تأكيد لبدايات الطوابق ثم نهاياتها وبصفة عامة فأن الزخارف الناتجة عن هذا الأسلوب، وخاصة الأفاريز الأفقية، لا يخرج عن كونه خطوط متعرجة (زجزاج Zigzag) إما مفردة أو ثنائية أو ثلاثية، أو خطوطا متداخلة ينتج عنها زخرفة تجريدية. أما الأفاريز الرأسية، فهي قليلة في المنازل بشكل عام، وإذا ما تواجدت فتكون في أشكال مختلفة، إما على شكل خطين متقاطعين ينتج عنهما شكل المعين Lozenge shap أو تكون في شكل V المتكرر بطول الشريط، وأحيانا ما يتألف من نجمة سداسية، أو مجموعة من العينات داخل بعضها، أنظر صور أرقام (٣، ٤، ٦، ٧).

٣) النوافذ والقمريات (العقود) Windows and Fanlights وكما سبق ذكرهن فأن النوافذ في واجهة المنزل الصنعاني تزداد عدد واتساعا كلما ارتفعنا لأعلى، مع عدم وجودها في الطابق الأرضي، كما أن هذه النوافذ لا تتواجد غالبا في الجانب الشمالي من المنزل خوفا من البرودة التي تأتي من هذه الجهة. والنوافذ بصفة عامة صغيرة في مساحتها، يغلقها ضلفتين خشبيتين، كما ينخفض مستوى النوافذ في الطوابق العلوية لكي يتسنى للجالسين رؤية ما حولهم. ويرتبط بالنوافذ عنصرا هاما يميز واجهات المنازل الصنعانية، وهو القمريات، أو كما يسميها الصنعانيون بالعقود. فكل فتحة نافذة يعلوها قمرية، وذلك لتوفير الإضاءة في الداخل دون استخدام النافذة الضيقة في مساحتها أصلا. وقد كانت هذه القمريات قديما عبارة عن لوح رقيق من الألبستر Thin alabaster sheet يؤتي به خاصة من منطقة شبام الغراس، ويكون بسمك حوالي ١,٥ سم، ويسمح بمرور الضوء دون إمكانية الرؤية المباشرة. وقد حل محل هذا النوع من القمريات حاليا، قمريات من الزجاج الملون المعشق بالجص

Coloured glass set in gypsum frame، وهي ذات أشكال مختلفة، فإما أنها في شكل دائرتين متماستين تعلوان النافذة، أو أنها في شكل نصف دائري، كما تلاحظ نافذة وما يعلوها من قمرية تشغلان المساحة ما بين كل طابق وآخر. صور أرقام (٣، ٤، ٦، ٧).

إنها أسئلة عن مفردات وملامح مختلفة لا يمكن بطبيعة الحال الأخذ بأحدها منفردا دون الآخر، وإنما هي في مجموعها تعطي الصورة الحقيقية لمدينة صنعاء القديمة، تلك المدينة التي يمكن النظر إليها كنسيج متكامل ومتوافق، وأن إهمال العناصر سابقة الذكر يصيب ذلك النسيج بالخلل في تركيبة وتناسقه. إن مدينة صنعاء القديمة هي كل تلك العناصر والمفردات، وكل هذه العناصر هي ملامح أصالتها، كون كل عنصر له جذوره القديمة المتوارثة سواء في أساليب الصنعة، أو الأساليب المعمارية والفنية والتي لا زالت قائمة ويساعد على استمراريتها ذلك الذي لا ينضب من مواد البناء التقليدية المتوفرة محليا.

خامساً – تفعيل تحديد ملامح الأصالة في صيانة التراث المعماري بمدينة صنعاء القديمة..

إن الهدف الرئيسي من برامج الصيانة للمدن التاريخية هو الإبقاء والاستمرارية لوجود هذه المدينة أولا، وثانيا هو تواجدها محتفظة بطابعها التقليدي، وعناصرها المختلفة، وتطوير وتنمية في إطار تحكمه أسس وقواعد علمية متفق عليها، وأن اختلف التطبيق من مدينة إلى أخرى.

وقد أسهمت كثيرا المواثيق الدولية، والتوصيات لمؤتمرات علمية في شأن صيانة المدن التاريخية، وتم وضع القواعد التي تنظم هذه الإجراءات بصيغة لها صفة العموم، وترك التفسير والتخصيص مرتبطا بطبيعة وظروف كل مدينة تاريخية ..... إلا أن هذه القواعد– وكما سبق ذكره– لم توضح بشكل قاطع مفهوم الأصالة وعناصرها، وترك ذلك لتناوله في إطار مدينة تاريخية محددة، أو تراث معماري محدد يمكن الغوص داخلة وداخل عناصره للوصول إلى مفرداته وجذورها التاريخية، وارتباطها بالمكان والزمان وطبيعة البيئة التي أفرزته.

وحقيقة، فقد كان من السهل تحري عناصر ملامح الأصالة في التراث المعماري لمدينة صنعاء القديمة، وترجع هذه السهولة لما تنفرد به مدينة صنعاء القديمة من كونها لا زالت باقية إلى حد كبير على تكاملها، ولم تلوثها أي عناصر غريبة وافدة كما هو الحال في مدن تاريخية إسلامية أخرى، ويضاف إلى ذلك تفرد المدينة في عناصر مختلفة لها جذورها التاريخية

المتوارثة، وما زالت باقية حتى الآن، سواء كان ذلك في ملامح الأصالة المتعلقة بالصنعة، وفي النمط المعماري والفني، أو في البيئة والظروف التي ساعدت على استمرار ذلك.

ولتفعيل كل ما سبق ذكره، وصيانة لمدينة صنعاء القديمة، وإبقائها على تكاملها وطبيعتها، فأن ملامح أصالة هذه المدينة ينبغي عدم إغفالها عند كل إجراء يكون له العلاقة بالمدينة القديمة، أو امتداداتها، واعتبار ذلك من أساسيات أي خطة أو برنامج للصيانة لهذه المدينة. وتفاصيل ذلك يمكن تناولها في النقاط التالية:

١. اعتبار سور المدينة أحد عناصرها الهامة والمميزة، وتضفي على المدينة تاريخيتها، وأهم ما يميز المدن التاريخية بشكل عام. وفي سبيل الحفاظ على ذلك التميز، هو الترميم باستمرار لهذه السور والمحافظة على ما هو متبقي منه حاليا (الشرق- الشمال- الجنوب)، إضافة إلى تأكيد الإبقاء على بقايا البوابات القديمة، مثل باب السلام وباب شعوب.

٢. إصدار قانون، أو قرار جمهوري، أو أي تشريع له الصفة القانونية بشأن تحديد حدود مدينة صنعاء القديمة، وتحديد الحرم المناسب حولها، بحيث يتضمن هذا التشريع الضوابط المختلفة لأي إجراءات داخل المدينة القديمة، وحرمها الذي يكون من خارج أسوارها. وأهم ما يمكن أن يتضمنه ذلك التشريع هو المنع لإقامة أي منشآت أو أنشطة من شأنها تشويه الطابع العام للمدينة القديمة أو إقامة مبان أو عمارات أو أي أنشطة داخل هذا الحرم يكون من شأنها قطع الامتداد البصري للمدينة من أي مكان خارجها، وذلك حفاظا على خصوصية المكان بمحيطة المتميز الذي هو جزء من طبيعة المدينة، وأحد ملامح أصالتها.

٣. ترميم باقي السماسر في منطقة سوق القديمة (مثل سمسرة البوعاني، وسمسرة محمد بن حسن)، صورة رقم (٥)، وتوظيفها في وظائف ولائمة وذلك حفاظا على تكامل منطقة السوق كونها من الملامح الهامة والمميزة للمدينة، إذ يعتبر سوق مدينة صنعاء القديمة أحد معالمها الرئيسية التي تتميز بها، ذلك السوق الذي يعتبر نتاجا ماديا وحضاريا لعصور تاريخية متتالية، وهو أحد أقدم الأسواق في شبة الجزيرة العربية. وكذلك الحفاظ على النمط المعماري الذي تتميز به المتاجر، وكذلك تشجيع وتنمية ما تقوم به من أنشطة: أسواق بيع السلع (الملح- القات- الخبز- الفضة- الحرير- الفتلة- العنب- النحاس .... وغير ذلك) والأسواق الحرفية (مثل سوق الجنابي- العسوب- المحدادة- المجارة- سوق النحاس.... وغير ذلك).

٤. وفيما يتعلق بالملح الهام والمميز لمدينة صنعاء القديمة، وهو منازلها، فأن ملامح أصالة ذلك النمط تكمن في أصالة الصنعة (تجهيزا لمواد البناء وترتيبا لاستخدامها، وكذلك تنفيذا لذلك)

وما تفرزه من أصالة للعناصر الزخرفية والمعمارية السائدة، وبناء على ذلك، وتمشيا مع هذا المعنى، فأنه يقترح للحفاظ على تلك الملامح الأخذ بما يلي:

أ. عناصر وملامح يجب التمسك بها:

١. استخدام مواد البناء التقليدية المحلية (طف بأنواعه وألوانه المختلفة- بازلت مصمت- بازلت إسفنجي- آجر) والتي يمكن بواسطتها، وتقنية البناء التقليدية، إحداث التسلسل المميز في وضعية مواد البناء للمنزل الصنعاني في طوابقه المختلفة. وهذه المواد التقليدية هي التي تتيح أيضا عمل العناصر الزخرفية المميزة للواجهات.

٢. الالتزام باستخدام الجص أو الجير كمادة بناء مميزة للواجهات، وهذه المادة يرتبط استخدامها بالالتزام السابق باستخدام الآجر، حيث أن الطلاء بالجص أو الجير هو المكمل والموضح لزخارف الأفاريز الطويلة والأفقية وما حول الشبابيك.

٣. ضرورة إحداث الأساليب الزخرفية المتبعة أو السائدة، سواء في الأفاريز العرضية أو الطولية، أو في الزخرفة الناتجة عن استخدام ألوان مختلفة من الصخور والأحجار، سواء في أركان المبنى، أو العقود المتوجة للفتحات وكذلك المداميك العرضية.

٤. اعتبار القمريات عنصرا أساسيا من عناصر واجهة المنزل الصنعاني ومرتبطا بطبيعة الحال بالنوافذ، مع الالتزام بالأساليب الزخرفية التقليدية السائدة عند تنفيذها، خاصة داخل المدينة القديمة.

٥. الالتزام بالارتفاعات المناسبة للمنازل داخل إطار المدينة القديمة، بحيث لا يسمح بالارتفاعات المتناقضة مع الطابع العام حفاظا على استواء وانفتاح الرؤية الأفقية للمدينة القديمة.

ب. عناصر يمكن التغاضي عنها:

وهذا التغاضي عن بعض العناصر في المنزل الصنعاني تأتي تمشيا مع الاستخدام لوسائل معيشية حديثة، ومثال ذلك الشبابيك في واجهات المنازل والمعمولة من الأحجار أو من الآجر، وهي أحد العناصر المميزة للواجهات، ونظرا لاستخدامها التقليدي لتبريد المياه، فأن وجودها حاليا ليس له ما يبرره، إلا أنه يمكن التمسك بها كمشربيات خشبية يمكن النظر من خلالها، ورؤية أي قادم للمنزل. وقد ينسحب هذا أيضا على بعض الفراغات الداخلية للمنزل، كالطابق المسروق، وغرف الخزين وحجة بئر المياه.

ت. أعمال ممنوعة:

١. البناء بالأسمنت أو أي مواد تخالف المواد التقليدية.
٢. التكسية الخارجية للمنازل بشكل كامل.
٣. عمل شرفات (بلكونات) في طوابق المنزل.
٤. عمل المداخل بشكل مرتفع عم مستوى سطح الأرض، ويصعد إليه بعدة درجات.
٥. التكسية الأسمنتية للطوابق الأرضية.
٦. عمل الدكاكين في الطابق الأرضي، وقد لوحظ ذلك في المنازل التي أعيد بناؤها داخل المدينة القديمة، بحيث أصبح الطابق الأرضي كله دكاكين، وإذا كان ذلك ضروريا لصاحب المنزل، فيجب أن يكون في أضيق الحدود وبمواصفات تتفق مع طابع المدينة وأنشطتها التجارية والحرفية.

وبعد فأن تحديد ملامح الأصالة لتراث معماري ما، وتضمين تلك الملامح لبرامج الصيانة لهذا التراث، لا يمكن ان يكون هذا كافيا لضمان استمرار وبقاء هذه الملامح والشواهد والخصائص المميزة لذلك التراث إن لم تكن هناك قوانين منظمة وملزمة، ووضع كود محلي مفصل للاسترشاد به عند إجراء أعمال الترميم والصيانة، أو إعادة بناء المباني داخل إطار المدينة القديمة.

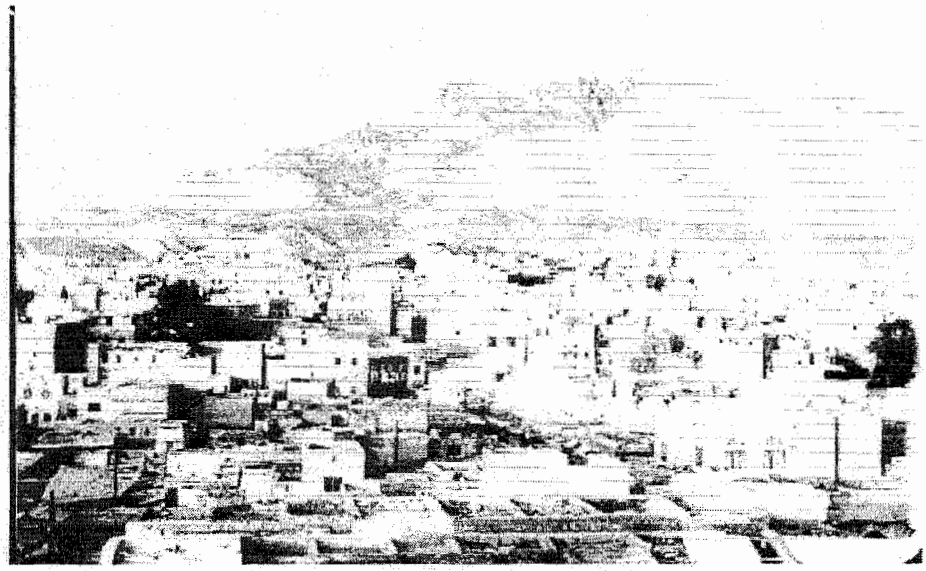

صورة رقم (١): منظر عام لمدينة صنعاء القديمة يوضح طبيعة الموقع ومحيطة، وطبيعة النمط المعمارى واستواء ارتفاعات المبانى عكس منطقة السوق فى مقدمة الصورة

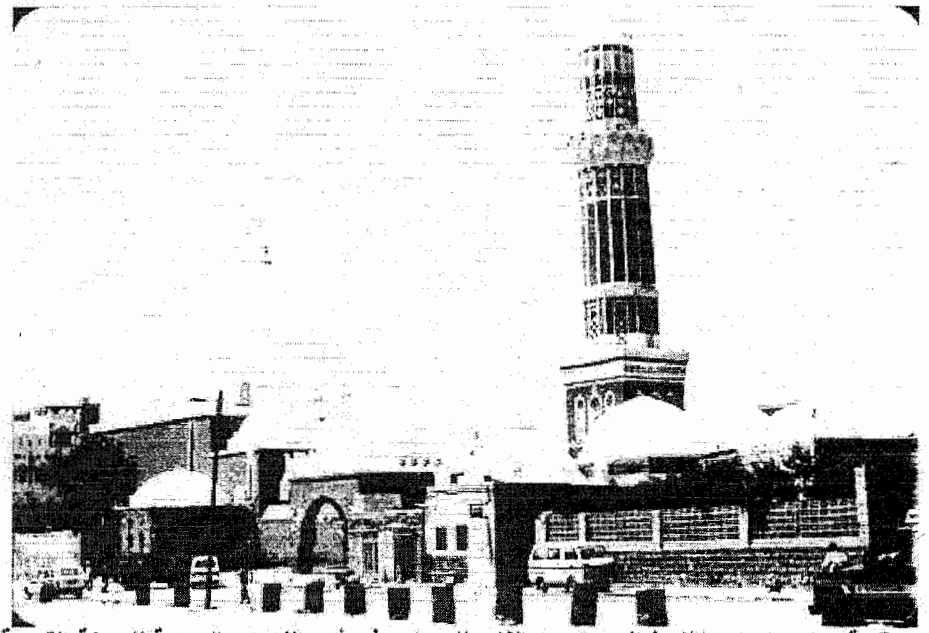

صورة رقم (٢): توضح النمط المعمارى والفنى للمساجد فى أحد الفترات الزمنية للمدينة القديمة (فترة الوجود العثمانى الأول باليمن) ـ جامع وقبة لبكيرية بمدينة صنعاء القديمة

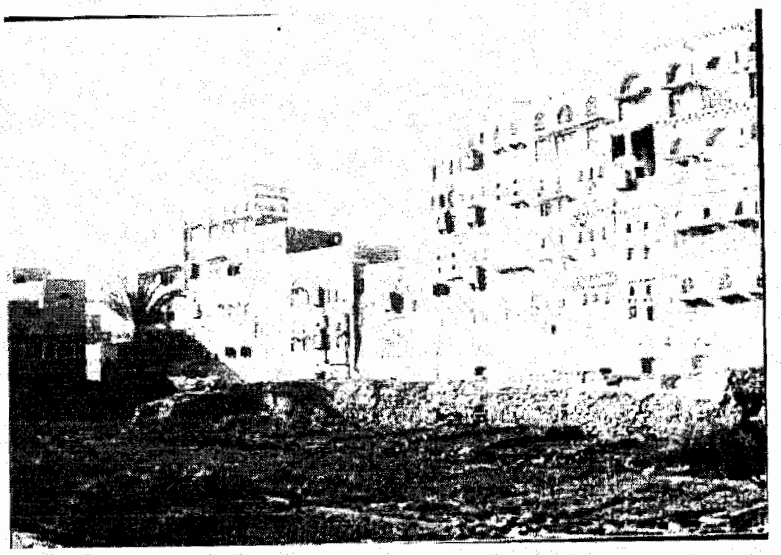

صورة رقم (٣): توضح نمط المنزل الصنعانى معماريا وفنيا، والمقشامة (الحديقة) التى تطل عليها المنازل، وتمثل عنصرا هاما من عناصر مدينة صنعاء القديمة

صورة رقم (٤): توضح جانب من مدينة صنعاء القديمة بمنازلها ذات الطابع المعمارى والفنى المميز والفريد، ويلاحظ الارتفاعات المتناسقة للمنازل

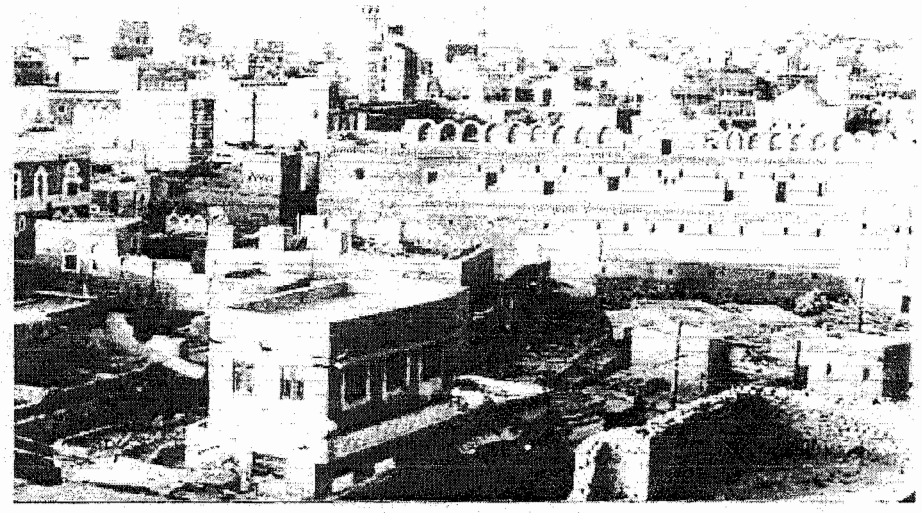

صورة رقم (٥): توضح جانب من منطقة السوق بوسط مدينة صنعاء القديمة

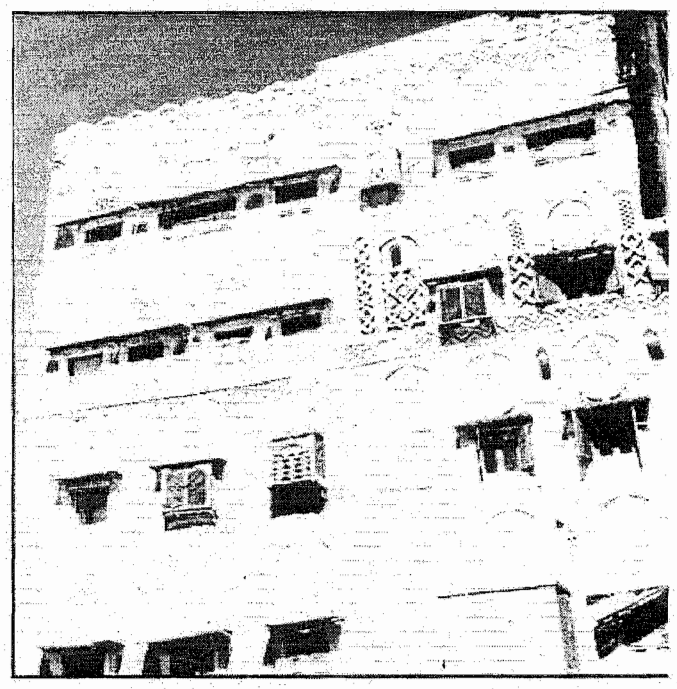

صورة رقم (٦): نموذج لمنزل بمدينة صنعاء القديمة يتضح فيه كل الملامح الفنية والمعمارية التى تميز هذه المنازل

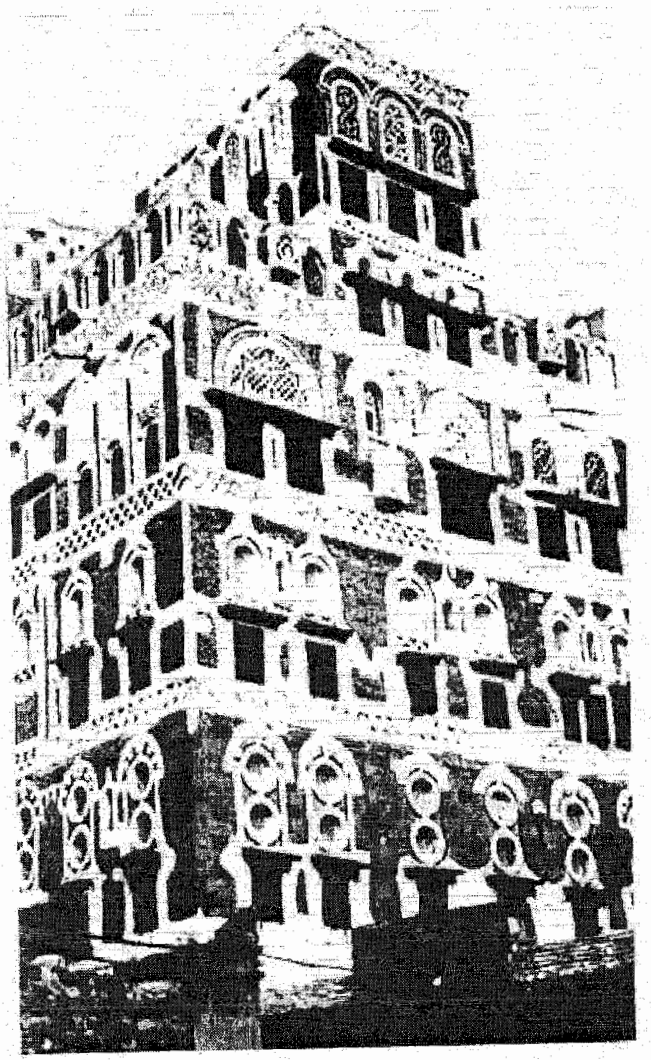

صورة رقم (٧): مثل الصورة السابقة